بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب التقليدية

هي صارع بين دولتين أو أكثر من مستوى حضاري متقارب تشترك فيه جميع أو بعض الأسلحة البرية والبحرية والجوية وتستخدم خلاله كافة أنواع الذخائر باستفتاء أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية

تأتي الحرب التقليدية كمرحلة متطورة عن الحرب البدائية التي كانت تجري في العصور القديم بين قبيلتين (أنظر الحرب البدائية) نظراً لأن تطور التحصينات في الحرب البدائية أجبر المهاجم على خلق أداة عسكرية فعالة قادرة على اقتحام هذه التحصينات في من هنا جاء أصل تشكيل الجيوش النظامية التي تضم عدداً من السكان الذكور في مجتمع ما يخضعون لتدريب معين ويتسلحون بأسلحة فعالة ويخضعون لتدريب معين ويتسلحون بأسلحة فعالة ويخضعون لسلطة قائد عسكري مؤهل ويشتبكون مع العدو بشكل مع العدو بشكل نظامي يختلف عن حرب العصابات التي كانت سائدة في الحرب البدائية وهكذا تحول الصراع من صدام بين قبيلتين إلى صدام بين مجموعتين مسلحتين يفرزها شعبان حتى تقاتلا باسمهما ونيابة عنهما ودفاعاً عن مصالحهما ولقد تطورت الحرب التقليدية بتطور الأسلحة وأساليب القتال التي تفرضها هذه الأسلحة . فعندما كانت الجيوش في العصور القديمة تستخدم السيف والرمح والقوس كانت الحرب التقليدية تتلخص في معركة واحدة تحدد مصير الجيشين ومصير الشعبين أيضاً وكان هذا الفن يتلخص في تنفيذ المعركة في أفضل الظروف ونظراً لأن الجيش كانا عبارة عن مفرزتين صغيرتين من الشعبين ولا تشكلان سوى نقطتين في الزمان والمكان فقد كان على كل جيش من هذين الجيشين أن يتحرك نحو الجيش الآخر بكتلة واحدة حتى تتم المعركة وكان المدافع يستطيع تحاشي المعركة وإطالة أمد الحرب لذا كان المهاجم يلجأ عادة إلى اجتياح البلاد المعادية

وتخريبها ونهبها لإجبار الجيش المعادي على قبول المعركة ولكن المدافع لم يكن يقبل دائماً هذا التحدي بل كان يلجأ في كثير من الحالات إلى الحصون الأمر الذي جعل المهاجم مضطراً للقيام بالحصار بغية الاستيلاء على الحصون ولهذا كانت الحرب التقليدية طويلة وغير حاسمة إلا إذا كان المهاجم متفوقاً بشكل ساحق (مادياً أو معنوياً) وقادراً على اقتحام الحصون وتدميرها (أتيلا ، الفتح العربي الإسلامي ، جنكيز خان) ولقد بقيت الحروب التقليدية تدور بهذا الشكل منذ العصور القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر ولقد استطاع نابليون بونابرت في نهاية القرن الثامن عشر تطوير مخطط الحرب التقليدية بأن استخدم أساليب جديدة للعمليات تجبر الخصم على خوض المعركة في جميع الحالات وساعده على ذلك أن القوة النارية للجيوش تتزايد بشكل جعل كل مفرزة (جم معين) من هذه الجيوش قادرة على القتال والمقاومة خلال فترة محددة من الزمن ولم يعد الجيش مضطراً للحركة بكتلة واحدة بل صار بوسعه الانتشار بالنظام الفرق Divisionnare والتحرك على أرطال متوازية والتموين من بالبلاد التي يجتازها وأصبح الترتيب العام للجيش أشبه بشبكة واسعة تتجمع في الفترة المعركة وهكذا استطاع نابليون إيجاد تمييز مطلق بين العمليات التي تتم بتشكيل مبعثر والمعركة التي تتم بعد التجمع ضمن تشكيل كثيف ولم يكن خصومه المتمسكون بمبدأ الحركة بكتلة واحدة قادرين على توقع المكان الذي سيجتمع فيه جيشه ولذا كان خصومه المتمسكون بمبدأ الحركة بكتلة واحدة قادرين على توقع المكان الذي سيجتمع فيه جيشه . ولذا كان نابليون قادراً على تطويقهم إن بقوا ثابتين (أنظر أولم ((معركة))) أو تجاوزهم الوقوف على خط مواصلتهم وعمل سد لإستراتيجي يجبرهم على التال على جبهة معكوسة (أنظر ييناا((معركة))) الأمر الذي جعل نابليون قادراً على فرض المعركة على خصومه في جميع الحالات حتى لو لم تكن المعركة ملائمة لهم ولذا تعاقبت المعارك في الحروب التابليونية وعادت الحرب فأصبحت حاسمة

وسريعة هذا بفضل ارتفاع مستوى تدريب جيشه وديناميكية قواته ومهارته في توزيع وجمع القوات وق حسابات دقيقة تتعلق بالحركة والتجاوز والانسحاب والشؤون الإدارية ثم تعلم الخصم نابليون أصول اللعبة فنشروا جيوشهم على شكل واسع تغطي جزءاً كبيراً من مسرح العمليات فتزايدت صعوبة مناورة نابليون باستمرار أصبحت الحرب التقليدية سلسلة من المعارك الجزئية وعندما مال ميزان القوى لصالح أعداء فرنسا تعرضت جيوش نابليون للهزيمة (أنظر واترلو ((معركة)))

واستمر تزايد القوة النارية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وتضخمت الجيوش بفضل التجنيد الإجباري وضخامة الإنتاج الحربي ووجود السكك الحديدية وازدادت قدرة التشكيلات على الحركة والقتال منعزلة ولم تعد الشبكة التي تنتشر عليها التشكيلات ((شبكة حركة)) فسحب بل أصبحت ((شبكة حركة وقتال)) كثيفة وجداراً بشرياً يتطلب الحرق باستمرار وامتزجت المعركة مع العمليات واختفى فن العمليات كما ابتدعه نابليون والمكارشال دوساكس ولكن تزايد قدرة القطاعات على الصمود زاد صعوبة الحرق وصار من الضروري في الحرب التقليدية تنفيذ عمليات الالتفاف على الأجنحة (وويرث ، سيدان موكدن ، المارن) كانت عمليات الالتفاف تجابه بالتفاف معاكس وتحولت الحرب التقليدية إلى سلسلة متعاقبة من العمليات الالتفاف يتطلب سرعة الحركة حتى يتم التطويق قبل انسحاب الخصم ؟أو تدخل قواته الاحتياطية ولقد كان الالتفاف يتطلب سرعة الحركة حتى يتم التطويق قبل انسحاب الخصم أو تدخل قواته الاحتياطية ولقد كان ذلك مكننا عندما كان عرض الجبهات صغيراً وفي مطلع الحرب العالمية الأولى (1914) حاول الألمان استخدام قوات قاومت تسير على الأقدام لتطويق جناح جبهة الفرنسيين التي بلغ عرضها 300 كيلو متر وأدى بطيء الحركة إلى فشلها واستطاع الحلفاء الانسحاب وجمع الاحتياطات بالسكك الحديدية واستعادة التوازن وجمعوا في باريس قوة قادرة على

إجراء مناورة التفاف على جناح الألمان الراغبين في الالتفاف على (أنظر المارن ((معركة))) ولكن الألمان تمكنوا من الانسحاب وكان الالتفاف والالتفاف على الملتفين في بداية الحرب العالمية الأولى عبارة عن سباق نحو البحر وعندما وصل الخصمان إلى البحر واستندت جبهتهما إلى البحر من الشمال وإلى حدود السويسرية من الجنوب اختفت إمكانات الالتفاف وفقدت الحرب التقليدية شكلها الحركي وأصبحت الجبهات في نهاية العام 1914 ثابتة

كاتن الجبهة في نهاية العام 1914 متصلة بدون أجنحة مكشوفة كما كانت رقيقة قليلة القليلة العمق وأصبحت المعركة معادلة لمسرح العمليات ولقد زادت صلابة الجبهة بسبب استخدام الرشاشات والخنادق والأسلاك الشائكة والمدفعية وقوات ضخمة تضم جميع الرجال القادرين على حمل السلاح في البلدان المتحاربة المكانية إمداد هذه القوات وتموينها بالسكك الحديدية وسيارات النقل ومع اختفاء إمكانات التطويق بدأ البحث عن وسيلة لتحقيق الحرق بالقوة واستغلال الحرق بكتل كبيرة من المشاة وصار من الضروري استخدام وسائط نارية كبيرة (مدافع ، رشاشات) لفتح الثغرة في نقطة محددة والاندفاع من خلالها (أنظر الحرق والثغرة) ولكن البدء حركة وأخذ مواقع مقابل الثغرة لسدها جعلا المهاجمين يدخلون في جيوب صغيرة العمق ثم يتوقفون (أنظر الجيب) وأصبحت الحرب يتطلب مزيداً من الإمكانات والوسائط النارية لتحقيق (الضرب المتتابع) الذي يضمن تنسيق عمل الجيوب المتعاقبة وتصعدها وتطلب هذا الأمر تضحيات ضخمة من المتطرفين وأخذت الحرب شكل استخدام عنيف للقوة . واختفت الحركات غير المباشرة رغم المحاولات الأولية لاستخدام الدبابات في المرحلة الثالثة من معركة السوم (أيلول 1916) وفي معركة الآيسن الثانية (نيسان 1917) ومعركة كامبري (تشرين الثاني – كانون الأول 1917) ومعركة أميان (آب 1918) والهجوم الفرنسي المضاد شرقي رميز (تموز 1918) ونظراً

لضخامة الخسائر الناجمة عن الحرب الاستنزاف واتجهت جميع مصادر البلاد المتحاربة (البشرية والمادية) لإطعام وحش الحرب الأمر الذي أنهك هذه البلدان وجعلها معرضة للانهيار من الداخل لا في جبهات القتال . ولذا انهارت روسيا القيصرية في العام 1917 وكادت فرنسا أنم تشهد في العام نفسه انهيار مماثلاً وفي العام 1918 انهارت الإمبراطورية النمساوية – الهنغارية وتلتها ألمانيا وانتهت الحرب العالمية الثانية بسبب تفتت الجبهة الداخلية قبل أن تحسم حرب عسكرياً في ساحات القتال

ولقد فهم الألمان أكثر من غيرهم مغزى استخدام الدبابة في الحرب العالمية الأولى كما فهموا مغزى للتعاون بين الطائرة والدبابات وخاصة بعد دراسة هجوم قمة فليسييك ر (شباط 1918) الذي قامت به دبابات الحلفاء وتعرضت خلاله لخسائر جسيمة من جراء رمايات المدفعية الألمانية ودراسة تنظيم التعاون الذي حققته الإنكليز بين الدبابة والطائرة الملحقة على ارتفاعات منخفضة منذ آب (أغسطس) 1918 ، على حين استنتج الفرنسيون من الحرب العالمية الأولى درساً آخر وهو ضرورة الاعتماد على التحصينات (أنظر ماجينو((خط)))

وساعدت تطور المحرك الانفجاري على تطوير الدبابة والطائرة ووسائط النقل كما ساعدت ضخامة الإنتاج على خلق قطاعات مدرعة كبيرة ذات قوة نارية هائلة وقدرة حركية كبيرة وفي المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية (1939– 1941) استخدم الألمان الثنائي ((طائرة – دبابة)) لتحقيق الحرق الذي تندفع المشاة المنقولة من خلاله لتقوم مع دبابات بالالتفاف والتطويق وتفتيت دفاعات العدو على جزر مقاومة والقضاء عليها (أنظر الشكل الحرب الخاطفة) وأصبحت المعركة مدخلاً للعمليات وانقلب المخطط النابليوننني الذي كانت فيه العمليات مدخلاً للعمليات مدخلاً للمعركة وعاد للحرب التقليدية طابعها الحركي ثم ثبتت الجبهات من جديد وعندما ضعف زخم الهجوم الألماني وحصل الحلفاء على الأسلحة والأساليب

القتالية الملائمة لإيقاف اندفاع المدرعات وفقدت الحرب بعضاً من حركتها وظهرت الضربات المتتابعة وعندما مال ميزان القوى لصالح الحلفاء عدات الحرب الخاطفة إلى الظهور على الجهتين الشرقية والغربية وعادت الحركية إلى حرب التقليدية وجرت سلسلة من المعارك والرحكات وعمليات استثمار النصر ولكن الحركة المجردة – على غرار حركات القرن الثامن عشر – لم يظهر إلا في شمالي أفريقيا حيث كانت القوات المشتركة في القتال صغيرة جداً بالنسبة إلى سعة مسرح القتال

وبعد ظهور السلاح النووي في العام 1945 اعتقد البعض أن عصر الحرب التقليدية قد انتهى وأن الحرب المقبلة ستكون ذرية حتماً ولكن إمتلاك السوفيات للإسلحة النووية في أيلول (سبتمبر) 1945 وتوسع عدد أعضاء النادي الذري (أنظر النادي الذري) واختراع القنبلة الهيدروجينية وتزايد القوة التدميرية للسلاح النووي كانت وراء الردع المتبادل وشلل السلاح النوي إلى حد ما والعودة إلى الحرب التقليدية في المناطق الهامشية وبين قوى صغيرة متحالفة مع القوتين النوويتين العظمتين و أ×ذت هذه الحرب شكل الحروب تقليدية المحدودة والحروب المحللية التي شهدتها العالم خلال خمسينات وستينات وبعينات القرن العشرين تعتبر المعركة بالإسلحة التقليدية سمة الحرب التقليدية (أنظر المعركة) وتستهدف المعركة تحقيق الحسم عن طريق تدمير قوات الخصم المسلحة خلال صدام يتم وفق الأساليب النظامية لتي يتقبلها منطق المؤسسة العسكرية ورغ م تطور الأسلحة ومعدات القتال وتفوق الدفاع على الهجوم أو تفوق الهجوم على الدفاع ورغم لجوء المتحاربين في بعض الحالات إلى إستراتيجية اتلتقرب غير المباشر فإن جوهر الحرب التقليدية هو تدمير إرادة الخصم عن طريق تحقيق النصر العسكري سواء تم هذا النصر عن طريق التقرب المباشر أو غير المباشر

ومن المؤكد أن تحقيق التصر العسكري في الحرب التقليدية لا يعني بالضرورة التدمير المادي لقوات الخصم المسلحة ولكنه يعني تفتيت نظامها وتأمين انهيار المعنوي وإفقادها الأمل بالنصر وقد يتم الوصول إلى هذه النتائج بشكل مباشر أو غير مباشر وقد يتم من جراء الهزيمة في المعركةو والمهم أن تحقيق هذه النتائج يؤدي إلى هزيمة الجيش المعادي نفسياً الأمر الذي يجعل حكومة الخصم تضع لإرادة المنتصرين السياسية ومن هنا نرى أن جوهر الحرب التقليدية جوهر نفسي أما العمل الحربي فيها فهو مجرد أداة للوصول إلى إنهيار العدو نفسياً واجباره على الإستسلام وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى أن إنهيار جيش الخصم واستسلام دولته لا يعنيان بالضرورة انتهاء النزاع المسلح لأن ضخامة هدف النزاع وارتفاع مستوى التعبئة لمعنوية والطبيعية الطوبوغرافيا للبلاد ودقة التنظيم السسياسي الجماهيري قد تدفع شعب البلد المهزوم إلى متابعة الصراع المسلح ضد العدو المنتصر مع استخدام أساليب أخرى غير التقليدية (أنظر الحرب الثورية) إذا كان الانهيار أو احتمال الانهيار في الماضي يدفعان الخصم إلى الاستسلام فإن الانهيار أو احتمال الانهيار في العصر النووي قد يؤديان إلى تصعيد الحرب التقليدية إلى مستوى آخر هو مستوى الحرب الذرية (أنظر الحرب الذرية أو النووية)